محاضرة 04:

مفهوم الشعر عند النقاد المشارقة والمغاربة

1_ أولية الشعر الجاهلي:

أبدى ابن سلاّم احتفاءً بنشأة الشعر العربي و بداياته الأولى، لكن آراءه في هذا الشأن متأثرة بإصراره على نفي مانُسبَ من شعرٍ إلى الأقوام الأولى، كعاد وثمود وحمير، حيث يقول في كتابه " طبقات فحول الشعراء ": " ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلاّ الأبيات يقولها الرّجل في حاجته، و إنّما قصّدت القصائد و طُوّل الشعر على عهد عبد المطلب، وهاشم بن عبد مناف، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد و ثمود و حمير و تبّع ".

ولا ريب في أن المراحل التي قطعها الشعر العربي حتى استوى في صورته الجاهلية غامضة، فليس بين أيدينا أشعار تصور أطواره الأولى، إنما بين أيدينا هذه الصورة التامة لقصائده بتقاليده الفنية المعقّدة في الوزن و القافية و في المعاني و الموضوعات و في الأساليب و الصياغات المحكمة، ومن المحقق أنّه فُقد كثير من الشعر الجاهلي، إذ عدت عليه عوادي الرواية و تلك الرحلة الطويلة التي قطعها من الجاهلية إلى عصور التدوين ويُروى عن أبي عمرو بن العلاء أنّه كان يقول: " ما انتهى إليكم ممّا قالته العرب إلاّ أقلّه، ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم و شعر كثير "

ويذهب **الجاحظ** إلى أنّ الشعر حديث الميلاد صغير السنّ، أوّل من نهج سبيله و سهّل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة، ويقول: " فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له، إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام".

2_ مفهوم الشعر:

اهتم النقاد القدامى بتحديد مفهوم الشعر ورسم معالمه وخصائصه وتبيين أدواته و آلياته التي تميّزه عن النثر، فرأى **الجاحظ** بأنّ أساس الشعر هو " إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، و سهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السّبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج و جنس من التصوير".

وتوقف **قدامة بن جعفر** في كتابه " **نقد الشعر**" عند مفهوم الشعر ولخصه في قوله " قول موزون مقفّى، يدلّ على معنى ". وعرّفه **حازم القرطاجني** في كتابه " **منهاج البلغاء و سراج الأدباء**" بقوله: " الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبّب إلى النفس ما قُصِد

تحبيبه إليها، ويكرّه إليها ما قُصد تكريهه، لتُحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام، أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك. وكلّ ذلك يتأكّد بما يقترن به من إغراب. فإنّ الاستغراب و التعجّب حركة للنّفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها و تأثرها".

وقد ألم هذا التعريف بأهم النواحي و الخصائص المميّزة للشعر و المرتبطة بعملية نظم الشعر أساسا، فقد أشار إلى طبيعة الشعر المبنية على الوزن و القافية إلى جانب التصوير و الخيال، كما أشار الناقد إلى الأثر الذي يتركه الشعر في نفوس السامعين و المتلقين عموما. وهو الهدف الذي يسعى الشاعر إلى تحقيقه معتمدا الوسائل التي تضمن ذلك.

وتوقف **ابن طباطبا العلوي** في كتابه **" عيار الشعر"** هو الآخر عند مفهوم الشعر و أدواته فقال: " الشعر أسعدك الله _ كلام منظوم، بائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خُصّ به من النظم الذي إن عُدل عن جهته مجّته الأسماع، وفسد على الذّوق. ونظمه معلوم محدود فمن صحّ طبعه وذوقه لم يحتج إلى الاستعانة على نظم الشعر بالعروض التي هي ميزانه، ومن اضطرب عليه الذوق لم يستغن من تصحيحه و تقويمه بمعرفة العروض و الحذق به، حتى تعتبر معرفته المستفادة كالطبع الذي لا تكلف معه" .

فالنظم إذن هو الأساس الذي يرتكز عليه مفهوم **ابن طباطبا** للشعر، معتبرا صحة الطبع هي الوسيلة لبلوغ نظم سليم يتمتع بخصائص الجودة، ويمكن لمن اضطرب ذوقه من وجهة نظر ابن طباطبا أن يتعلم قواعد العروض التي تساعده على بلوغ نفس مراتب الجودة و يحدّد ابن طباطبا أدوات الشعر في قوله: " وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مراسه وتكلّف نظمه، فمن تعصّت عليه أداة من أدواته، لم يكمل له ما يتكلّفه منه، وبان الخلل فيما ينظمه، ولحقته العيوب من كلّ جهة فمنها: التّوسع في علم اللغة، و البراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الآداب، و المعرفة بأيام الناس و أنسابهم، ومناقبهم ومثالبهم، و الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشعر، و التّصرّف في معانيه، في كل فن قالته العرب فيه، وسلوك مناهجها في صفاتها ومخاطباتها و حكاياتها و أمثالها.....وجماع هذه الأدوات كمالُ العقلِ الذي به تتميّز الأضداد، ولزوم العدل و إيثارُ الحسَنِ، واجتنابُ القبيح، و وضعُ الأشياء مواضعَها ".

ويبدو أنّ هذه الأدوات في مجملها ترسم ملامح ثقافة الشاعر التي أراد **ابن طباطبا** تأكيد أهميتها لامتلاك مفاتيح نظم الشعر.